فَضْلُ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّة

للشيخ / ندا أبو أحمد

فَضْلُ الأُمَّة الْمُحَمَّدِيَّة

M

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . . .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا { ٧٠ } يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله . تعالى . وخير الهدي هدي محمد r ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نعلم جميعاً أن الأُمَّة الإسلامية الآن في حالة من الضعف والوهن، وممَّا زادها ضعفاً على ضعفها، ووهناً على وهنها، هذا الإعلام الغربي الفاسد، وغيرهُ من أبواق الدعاية التي تُفَتِّت في عضد الأُمَّة، وتُصَوِّر العالم الإسلامي بأنه مُتَخَلِّف وغير مُتَحَضِّر، وأنه حثالة، وأننا أُمَّة في عداد الموتى، ولن تقوم لنا قائمة، حتى تأثَّر الكثير من أبناء هذه الأُمَّة فانهزموا نفسياً.

فتوقفت العقول عن الابتكار، بل حتى عن التفكير، وتوقَّفَت الأبدان عن الإنتاج، وسلَّمنا زمام أمورنا لأعدائنا يتحكمون فينا، وننتظر منهم أن يمنّوا علينا بمعونة غذائية أو مالية أو حربية، وشُلَّت الأُمَّة ووقفت مكانها، بل هناك مَن ينسلخ من هويته، فيسعى حثيثاً للحصول على جنسية غير جنسيته، فالأمر خطير.

لذا كان هذا الموضوع، وفيه نُذَكِّر بفضل الأُمَّة المحمدية ومكانتها، وأنها من خير الأمم، وإن دارت عليها الأيام، لكن حتماً ستعود.

– وقد كان من هدي النبي r استنهاض الهِمم، ورفع الحالة المعنوية في وقت الانكسار.

ففي غزوة حنين عندما حدث انكسار للمسلمين أخذ النبي r الأمين يُذكِّرهم بمآثرهم، ونادى: **"يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب البقرة، يا أصحاب بيعة الرضوان"**، فكان لهذا النداء الأثر الفعَّال في نفوس الصحابة، ففاءوا جميعاً وكرُّوا على عدوهم وانتصروا عليهم.

– وأيضاً يوم أُحُد لما حدث انكسار للمسلمين أخذ أبو سفيان – وكان في صفوف المشركين – ينادي ويقول: **"أفي القوم محمد؟ فقال النبي r : لا تجيبوه، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قُتلُوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملك عُمر نفسه، فقال: كذبتَ يا عدو الله، أَبْقَى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: أُعلُ هُبل، فقال النبي r : أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل، قال أبو سفيان: لنا العزة ولا عزة لكم، فقال النبي r : أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحرب سجَال، فقال النبي r : ألا تجيبوه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: لا سواء، موتانا في الجَنة، وموتاكم في النار"**

وحيث إن خير الهدي هدي النبي r ، فكان واجباً عليَّ أن أُذَكِّر بفضل الأُمَّة المحمدية في وقت الانكسار والهزيمة النفسية؛ لتستيقظ الأُمَّة من سباتها، وتعود لها ريادتها وقيادتها.

فتعال أنا وأنت نرى فضل ومكانة هذه الأُمَّة

وقبل الحديث عن فضل الأُمَّة المحمدية، لنا وقفة مع حديث النبي r :

والذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – :

"أن النبي r تلا قول الله تعالى في إبراهيم u : { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [إبراهيم:٣٦]، وقول عيسى u : { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة:١١٨]، فرفع النبي r يديه، وقال: "اللهم أُمَّتِي أُمَّتِي وبكى، فقال الله U: يا جبريل، اذهب إلى محمد "وربك أعلم" فسله ما يبكيه؟ فآتاه جبريل: فأخبره رسول الله r بما قال، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أُمَّتِك ولا نسوؤك"

– وها هو رب العالمين يعطي الأُمَّة المحمدية الكثير والكثير كما وعد النبي r ؛ إرضاءً وكرامةً له، فجعل الله تعالى أُمَّة النبي r خير الأُمَم.

١ – الأُمَّـة المحمدية خير الأمم:

قال تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [آل عمران:١١٠]

فقد أخرج الإمام أحمد عن عليّ t قال: قال رسول الله r :

"أُعطيتُ ما لم يعطَ أحدٌ من الأنبياء، نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيحَ الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجُعلت أمتي خَيْرَ الأُممِ"

– وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن معاوية بن حيدة t عن النبي r قال:

"إنكم تُتمون سبعين أُمَّة، أنتم خيرها وأكرمها على الله" (صحيح الجامع:٢٣٠١)

– وفي رواية: "أنتم تُوفون سبعين أُمَّة، أنتم آخرها وأكرمها على الله U"

{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [الجمعة:٤]

– فالخير كل الخير في أُمَّة الحبيب النبي r

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس t عن النبي r قال: "مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره" (صحيح الجامع:٥٨٥٤)

– وثبت في "صحيح مسلم" من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله r:

"لا تزال طائفة من أُمَّتِي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقول عيسى u : إن بعضكم أُمراءُ بعضٍ تكرمةَ الله لهذه الأُمَّة"

– وفي رواية: "فيقول أمِيرُهم المهدي: تعال صَلِّ بنا، فيقول عيسى u : لا، إن بعضهم أمير بعضٍ، تكرمة الله لهذه الأُمَّة"

والمعنى: من إكرام الله لأُمَّةِ محمد r أن يجعل عيسى ابن مريم u يُصلِّي خلف واحد منها.

وقد أخرج أبو نعيم في كتاب "المهدي" عن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال:

"مِنَّا الذي يُصلِّي عيسى ابن مريم خلفه" (صحيح الجامع:٥٩٢٠)

٢- الأُمَّـة المحمدية أُمَّـة مَهْـدِيَّـة يهديها الله تعالى للحق، ولها فيه صلاحها وفلاحها:

ولذلك اليهود يحسدوننا على هذا الفضل العظيم الذي أعطاه لنا الرب الكريم سبحانه.

– فقد أخرج البخاري في "صحيحه" أن الحبيب النبي r قال:

"نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرِضَ عليهم فاختلفوا فيه؛ فهدانا الله [إليه]، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد"

– وفي رواية عند الإمام أحمد من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله r:

"إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلُّوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا اللهُ لها وضلُّوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين"

– قال ابن كثير – : – في "تفسيره" (١/٢٩٤):

"اختلفوا في يوم الجمعة، فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أُمَّة محمد r ليوم الجمعة.

– واختلفوا في القبلة، فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أُمَّة محمد r لاستقبال البيت الحرام، وهو أول بيت وضعه للناس، **قال تعالى:**

{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ } [آل عمران:٩٦]

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذر t قال:

"سألت رسول الله r عن أول مسجدٍ وضع في الأرض؟ فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً"

– واختلفوا في الصلاة، فمنهم مَن يركع ولا يسجد، ومنهم مَن يسجد ولا يركع، ومنهم مَن يُصَلِّي وهو يتكلَّم، فهدى الله أُمَّة محمد r للحق في ذلك.

– واختلفوا في الصيام، فمنهم مَن يصوم بعض النهار، ومنهم مَن يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أُمَّة محمد r للحق في ذلك.

– واختلفوا في إبراهيم u ، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى الله أُمَّة محمد r للحق في ذلك.

– واختلفوا في عيسى u ، فكذَّبت به اليهود، وقالوا لأُمِّه بُهتاناً عظيماً، وجعلته النصارى إلهاً وولداً، وجعله الله روحه وكلمته، فهدى الله أُمَّة محمد r للحق في ذلك. اهـ

وصدق الله حيث قال: { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [البقرة:٢١٣]

٣- الأُمَّـة المحمدية أُمَّـة لا تجتمع على ضلالة:

فعندما تجتمع الأُمَّة المحمدية على أمرٍ من أمور الدين فاعلم أنه حقٌّ؛ لأن الأُمَّة المحمدية لا تجتمع أبداً على ضلالة.

– فقد أخرج ابن أبي عاصم عن أنس t عن النبي r قال:

"إن الله تعالى قد أجَارَ أُمَّتي أن تجتمع على ضلالة" (صحيح الجامع:١٧٨٦)

٤- رفع الله عن الأُمَّة المحمَّدية الإصر والأغلال التي كانت على مَن قبلها من الأمم:

فالله تعالى أمر أهل الكتاب أن يؤمنوا بمحمد r ، فهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، وهو يأتي بشريعة سمحة ترفع عنهم الإصر والأغلال، **قال تعالى:** { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف:١٥٧]، أي إن الذين يتبعوه يضع عنهم الإصر والأغلال.

– **ونقل ابن كثير – : – في "تفسيره" عن أبي برزة الأسلمي t قال:**

"إني صحبت رسول الله r وشهدت تيسيره، وقد كانت الأُمَم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسَّع الله على هذه الأُمَّة أمورها وسهَّلَهَا لهم، ولهذا قال رسول الله r : "إن الله تجاوز لأُمَّتِي ما حدَّثَت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل" (أخرجه البخاري ومسلم)

– **وفي رواية عند ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:**

"إن الله تجاوز لأُمَّتي عمَّا تُوسوس به صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به، وما استكرهوا عليه" (صحيح الجامع:١٧٢٩)

– **وأخرج الطبراني في "الكبير" عن ثوبان t عن النبي r قال:**

"رُفِعَ عن أُمَّتِي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" (صحيح الجامع:٣٥١٥)

ولهذا أرشد هذه الأُمَّة أن يقولوا: { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة ٢٨٦]، **فقال رب العزَّة:** "نعم – **وفي رواية:** قال: – "قد فعلت". اهـ

– وكان مَن قبلنا إن أصاب النجس ثوب أحدهم؛ يقطع الثوب بما فيه من النجس.

– وكان مَن قبلنا إذا أرادوا التوبة كان يقتل بعضهم بعضاً (كما حدث ممَّن عَبَدَ العجل)

– وكان مَن قبلنا إذا أذنب يكتب ذنبه على باب داره (فضيحة وعار على رءوس الأشهاد)

أما نحن "الأُمَّة المحمدية" فقد جعل الله كفارة ذنوبنا قولاً نقوله بألسنتنا، فتوبتنا أسهل تناولاً وأسرع قبولاً.

– وقد ثبت في "تفسير ابن المنذر" – : – :

"أن الصحابة y كانوا مجتمعين عند ابن مسعود t ، فتذاكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، **فقال عبد الله بن مسعود:** "كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنباً كُتِبَ ذنبه على باب داره، وكُتِبَ معه كفارة ذلك ليغفر ذلك الذنب، أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قول تقولونه بألسنتكم، **ثم تلا قول الحق l :** { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ { ١٣٥ } أُولَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } [آل عمران:١٣٥-١٣٦]، **فقال ابن مسعود t : والله ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية"**

٥- الأُمَّـة المحمدية أَحلَّ اللّه لها الغنائم دون غيرها من الأمم:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:

"لم تحل الغنائم لأحدٍ سودِ الرءوس من قبلكم، كانت تُجمع وتنزل نارٌ من السماء فتأكلها"

(صحيح الجامع:٥١٩٦)

٦- الأُمَّـة المحمدية فَضَّـلَها اللّه على باقي الأمم بأمورٍ منها:

أن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة، وجعل لها الأرض مسجداً، وتُربتها لهم طهورا إن لم يجدوا الماء، **وهذا ما ذكره النبي r في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم:**

"فُضِّلنا على الناس بثلاثٍ: جُعِلَت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجُعِلَت لنا الأرض كلها مسجداً، وجُعِلَت تُربتها لنا طهوراً"

٧- أُمَّـة لا تُسْــتأصل كما اسْتُأصِلت الأمم من قبلها:

فقد أخرج الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص t :

"أن رسول الله r أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية؛ دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين وَمَنَعَنِي واحدةً، سألتُ ربي أن لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالسَّنَةِ[1] فأعطانِيها، وسألته أن لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالغرق فأعطانِيها، وسألته أن لا يُجْعَل بأسهم بينهم فمنَعَنِيها"

ومما لا شك فيه أن المخاصمة والمنازعة والاختلاف أفضل من الاستئصال بالعذاب، كما حدث في الأمم التي كانت قبلنا.

ويؤكد النبي r على هذا أيضاً في حديث أخرجه البخاري عن جابر t قال:

"لما نزلت هذه الآية: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ } قال رسول الله r : أعوذ بوجهك، قال: { أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } قال رسول الله r : أعوذ بوجهك، قال: { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ } [الأنعام:٦٥]، قال رسول الله r : وهذا أهون، أو هذا أيسر"

قال الحافظ ابن حجر – : – كما في "فتح الباري" (١٣/٢٩٦): "قال ابن بطال:

"أجاب الله تعالى دعاء نبيه في عدم استئصال أُمَّته بالعذاب، ولم يجبه في أن يلبسهم شيعاً– أي فرقاً مختلفين– وأن يذيق بعضهم بأس بعض– أي بالحرب والقتل بسبب ذلك –روا ٍكان ذلك من عذاب الله، لكن أخفَّ من الاستئصال، وفيه كفارة للمؤمن". اهـ

– وكون الأُمَّة لا تُسْتأصل دليل على رحمة الله تعالى بهذه الأُمَّة، وأن أُمَّتنا أُمَّة مرحومة.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي موسى t عن النبي r قال:

"إن الله U إذا أراد رحمة أمة من عباده؛ قبض نبيَّها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها، وإذا أراد هلكة أمةٍ؛ عذَّبها، ونبيَّها حيٌّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كَذَّبُوه وعصوا أمْرَهُ"

---

(1) السَّنَة: أي القحط، وجاء في بعض الروايات: "بسنة عامة" أي لا يهلكهم الله بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

٨- جعل الله عذاب الأُمة المحمَّدية في الدنيا: فيبتليهم بالمصائب ليُطهِّرهم من المعايب:

فقد أخرج أبو داود والطبراني في "الكبير" عن أبي موسى الأشعري t عن النبي r قال:

"أُمَّتِي هذه أُمَّة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا: الفتن والزلازل والقتل والبلايا" (صحيح الجامع:١٣٩٦)

– فهذا البلاء يُكفِّر الله به السيئات:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة t عن النبي r قال:

"ما يصيب المسلم من نصب[١] ولا وصب[٢]، ولاهمٍّ ولا حزن، ولا أذى ولا غمٍّ، حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّر الله بها من خطاياه"

– وفي رواية عند البخاري:

"ما من مصيبةٍ تصيب المسلم؛ إلا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها"

– وهذا البلاء سبب لرفع الدرجات:

فقد أخرج ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة t أن النبي r قال:

"إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعملٍ، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها"

– وفي الآخرة يعطي الله لأهل البلاء ما لا يعطي لغيرهم

جاء عند الترمذي عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما - أن النبي r قال:

"ليودن أهل العافية يوم القيامة، أن جلودهم قرضت بالمقاريض؛ ممَّا يرون من ثواب أهل البلاء"

(1) نصب: تعب.

(2) وصب: وجع.

– فهذا البلاء الذي ينزل بأُمَّة النبي دليل رحمة، وعلامة على الخير.

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن أنس t عن النبي r قال:

"إذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر؛ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة" (صحيح الجامع:٣٠٨)

– فهذه الأُمَّة يبتليها الله في الدنيا بالمكاره؛ حتى يحط عنها الخطايا وتأتيه يوم القيامة ولا ذنب عليها، ويرفع الله لها بهذا البلاء الدرجات ويكتب الحسنات، فبلاء الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فكل بلاء دون النار فهو عافية، ومن فضل هذه الأُمَّة أن الله إذا ابتلاهم يعطيهم من حلمه، حتى يخفّف عنهم ألم المصيبة، ويعطيهم من علمه ليروا الجزاء وعاقبة الصبر.

فقد أخرج الإمام أحمد والبزار عن أبي الدرداء t عن النبي r قال:

"إن الله تعالى قال لعيسى ابن مريم: إني باعث من بعدك أُمَّةً إن أصابهم ما يُحبُّون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم: قال يا رب كيف هذا ولا حلم ولا علم؟ قال: أُعطيهم من حلمي وعلمي"

٩- أُمَّـة النـبي أقل الأمم أعماراً وأعمالاً، ولكن أكثـرهم ثواباً وأجراً:

أخرج البخاري من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما - أن رسول الله r قال: "مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أُجَرَاء، فقال: مَن يعمل لي غُدوةٍ إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم؛ فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أُوتِيه مَن أشاء"

فالله يُضاعف للأُمَّة المحمدية الحسنات.

فشرع الله لنا أعمالاً هي في الجهد والبذل صغيرة ولكنها في الأجر كبيرة مثل:-

١ـ الوضوء

فإن الله U يغفر بهذا الوضوء ما تَقَدَّم من الذنوب

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عثمان بن عفان t عن النبي r قال:

"مَن توضَّأ فأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره"

– وفي رواية أنه قال: "رأيت رسول الله r تَوَضَّأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: "مَن تَوَضَّأ هكذا غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه ،وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة"

– وقال رسول الله r : "إذا تَوَضَّأ الرجل المسلم؛ خرجت ذنوبُه من سمعه وبصره ويديه ورجليه، فإن قعد قعد مغفورًا له" (أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة t وهو في صحيح الجامع:٤٤٨)

٢ـ الدعاء بعد الوضوء

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمر t قال: قال رسول الله r :

"ما منكم من أحدٍ يتَوَضَّأ فيسبغ (الوضوء) ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" – زاد الترمذي: "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين"]؛ إلا فُتِحَت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" (صحيح الجامع :٦١٦٧)

٣- صلاة ركعتين بعد الوضوء

أ- يغفر الله بهما ما تَقَدَّم من الذنوب

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عثمان بن عفان t قال:

"رأيت النبي r تَوَضَّأ نحو وضوئي هذا، وقال: مَن تَوَضَّأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسه؛ غَفَرَ الله له ما تَقَدَّم من ذنبه"

ب- وبهاتين الركعتين أَوْجَبَ الله بهما الجنة لمَن يُقْبل عليهما بقلبه ووجهه

فقد أخرج الإمام مسلم عن عقبة بن عامر t قال: سمعت رسول الله r يقول:

"مَن تَوَضَّأ فأحْسن الوضوء، ثم صلَّى ركعتين يُقْبلُ عليهما بقلبه ووجهه؛ وجبت له الجنة"

٤- السعي إلى المسجد

وبه تُكَفَّر السيئات، وتُكْتَب الحسنات، وتُرْفَع الدرجات

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t أن النبي r قال:

"مَن تَطَهَّر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله؛ كانت خطواته إحداها تحطُّ خطيئة، والأخرى ترفع درجة" (والدرجة كما بين السماء والأرض)

- بل انظر إلى ثواب السعي ليوم الجمعة

فقد أخرج الإمام أحمد وأهل السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس t قال: سمعت رسول الله r يقول:**"مَن غَسَّل يوم الجمعة واغتسل، وبَكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ؛ كان له بكل خطوة عملُ سنةٍ أجر صيامها وقيامها"**

(صحيح الترغيب: ٦٩٠)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال:

"مَن اغتسل يوم الجمعة غُسْل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قَرَّب بدنة، ومَن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن جاء في الساعة الثالثة فكأنما قَرَّب كبشاً أقرن، ومَن راح في الساعة الرابعة فكأنما قَرَّب دجاجة، ومَن راح في الساعة الخامسة فكأنما قَرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر"

٥- فضل السعي لصلاة الجماعة

فقد أخرج ابن خزيمة بسند صحيح عن عثمان t قال: قال رسول الله r :

"مَن صلَّى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى؛ كُتِبَت له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق"

٦- بل انظر إلى فضل التأمين خلف الإمام لتعلم مدى كرم اللّه

فبهذا التأمين وبهذه الكلمة يُغْفَرُ لك ما تَقَدَّم من ذنبك (سبحانك من إله عظيم كريم)

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال:

"إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، فإنه مَن وافق قوله قول الملائكة، غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه"

٧- بل انظر إلى فضل الأذكار بعد الصلاة

وكيف أن الله يغفر بها ما تَقَدَّم من الذنوب

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :

"مَن سَبَّح الله دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّر الله ثلاثاً وثلاثين؛ فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ غُفِرَتْ خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"

٨- ثواب الصدقة

فإن الإنسان إذا تَصَدَّق بصدقة ولو صغيرة؛ فإن الكريم يُنَمِّيها ويربيها حتى تكون يوم القيامة مثل الجبل، ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :***

"مَن تَصَدَّق بعدل تمرة [1] من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب –؛ فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوَهُ [2]؛ حتى تكون مثل الجبل"

٩- ثواب الصيام

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r :

"لا يصوم عبد يوماً في سبيل الله؛ إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً"

وفي رواية عند النسائي: **"مَن صام يوماً في سبيل الله؛ باعد الله عنه جهنم مسيرة مائة عام"**

وفي رواية عن الترمذي: **"مَن صام يوماً في سبيل الله؛ جعل بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض"** والمسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام.

والله تعالى يقول: { فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }

[آل عمران:١٨٥]

فالإنسان منا يستطيع أن يزحزح نفسه عن النار سبعين سنة، أو مائة سنة، أو خمسمائة سنة، وذلك بصيام يوم واحد فقط نافلة؟

ناهيك عن صيام يوم عاشوراء؛ فإن الله يُكَفِّر به سنة قبله

وصيام يوم عرفة يُكَفِّر الله به سنة قبله وسنة بعده.

فإذا كان هذا في فضل ثواب صيام النفل، فما القول في ثواب صيام الفرض؟

---

(1) بعدل تمرة: أي بقيمتها.

(2) الفَلُوّ: المهر، أما الفصيل فهو ولد الناقة إلى أن يُفْصَلَ عن أمه.

١٠- بل انظر لفضل ليلة القدر

– فقد أخرج الإمام مالك في "الموطأ" والبيهقي في "الشعب" عن قتادة:

"أنه بلغه أن رسول الله r أُري أعمار الناس قبله– فكأنه تقاصر أعمار أُمَّته ألا يبلغوا في العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر".

– وفي رواية: "أن النبي r ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهرٍ، فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ { ١ } وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ { ٢ } لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ } [القدر:١-٣]، التي لبس فيها ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر" (أخرجه ابن المنذر والبيهقي عن مجاهد) (انظر الدر المنثور:٦/٩:٦)

– وقد غَفَرَ الله تعالى ما تَقَدَّم من الذنوب لكل مَن أدرك ليلة القدر، وأحسن قيامها.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:

"مَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تَقَدَّم من ذنبه"

١١- ثواب الحج

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة t سمعت رسول الله r يقول:

"مَن حَجَّ فلم يرفث ولم يفسق؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"

بل لم يرضَ الله لقُصَّاد بيته ثواباً دون الجَنَّة

كما جاء في البخاري من حديث أبي هريرة t عن رسول الله r قال:

"العُمْرةُ إلى العُمْرةِ كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجَنَّة"

– ثواب الصلاة في المسجد الحرام

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث جابر t قال: قال رسول الله r :

"صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه" (صحيح الجامع:٣٨٣٨)

وهناك من الأعمال الكثيرة والتي لا يتسع المقام هنا لذكرها، والتي يعطي عليها الله تعالى الأجر الكبير والثواب الجزيل لأُمَّة الحبيب r

١٠- الأُمَّـة المحمدية أُمةٌ لا تموت:

ويدل على هذا قول النبي r :

"لا تزال طائفةٌ من أُمَّتِي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"(أخرجه الإمام مسلم عن جابر t)

– وأخرج البخاري عن المغيرة بن شعبة t عن النبي r قال:

"لا تزال طائفةٌ من أُمَّتِي ظاهرين حتى يأتيَهم أمر الله وهم ظاهرون"

– وأخرج البخاري عن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما - قال: سمعت النبي r يقول:

"مَن يُرِد الله به خيراً يُفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأُمَّة مستقياً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله"

فهذه الأُمَّة قد تمرض لكنها لا تموت.

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم أن حوصر النبي r ومَن معه في شِعْب أبي طالب.

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم حاصر المشركون بيت النبي r لقَتْلِه

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم كان النبي r هو وأبو بكر t في الغار والمشركون على رءوسهم.

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم أُحُد.

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم الخندق، يوم أن حاصر المدينة عشرة آلاف من المشركين.

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم ارتدَّ العرب بعد موت النبي r .

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم فتنة خلق القرآن.

– ولو كانت هذه الأُمَّة تموت لماتت يوم اجتاح التتار بلاد المسلمين واعملوا فيهم القتل أربعين يوماً.

ولقد شهدت الأُمَّة الإسلامية كثيراً من الهجمات الفكرية والعسكرية والتبشيرية من أعداء الإسلام على مر العصور، وفي كل مرة تقوم الأُمَّة أفضل مما كانت.

والأُمَّة لا تتعافى وتخرج من كل بلاء إلا بالرجوع إلى الدين، فالدين هو طوق النجاة في كل أزمة، لذا تجد أن الله تعالى يرسل لهذه الأُمَّة على رأس كل مائة عام مَن يجدد لها أمر دينها.

فقد أخرج أبو داود والبيهقي عن أبي هريرة t عن النبي r قال:

"إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يجدد لها دينها"

(صحيح الجامع:١٨٧٤)

وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأُمَّة، فلو ذهب الدين؛ لذهبت معه الحياة، وماتت هذه الأُمَّة

١١ - العاقبة والخلافة والتمكين ستكون لأُمَّـةِ النبي الأمين r :

قال تعالى لإبراهيم الخليل u : { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ }

[البقرة:١٢٤]

فالعهد والخلافة والتمكين لا يكون إلا للمُوحِّدين أتباع سيد المرسلين فهم أولى الناس بإبراهيم الخليل،

قال تعالى: { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران:٦٨]

وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [التوبة:٣٣]

قال الشافعي – : – كما في "أحكام القرآن"(٢/٥٠):

"لَيُظْهِرن الله دينه على الأديان حتى لا يدانَ اللهُ إلا به، وذلك متى شاء الله تعالى" اهـ

والقول بأن هذا الظهور المذكور في الآية قد تحقَّق في زمن النبي r ، أو الخلفاء الراشدين y ، أو بعض خلفاء بني أُمَيَّة، أو بني العباس... أو غيرهم قول بعيد، فما تحقَّق إنما هو جزء منه فقط– كما هو معروف من التاريخ – وسوف يتحقق كاملاً في المستقبل إن شاء الله.

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان t أن النبي r قال: **"إن الله زوى لي الأرض[1]، فرأيت مشارِقَها ومغاربها، وإن أُمَّتي سيبلُغُ ملكها ما زُوِيَ لي منها..."**

ومعلوم أن الإسلام لم يُغَطِّ الكرة الأرضية بهذا الوصف الموجود في الحديث الشريف، وسيغطيها كما أخبر بذلك المعصوم r حين يشاء الله تعالى.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في "الكبير" عن تميم الداري t قال: قال رسول الله r :

"ليبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت مَدَر[2] ولا وبر[3] إلا أدخلَهُ الله هذا الدين بعزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليل، عزًّا يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر"

(صحَّحه الألباني في تحقيق المشكاة)

وهذا الحديث يؤكد الحديث السابق ويوضحه، ***ويفيد قوله r :*** **"ما بلغ الليل والنهار"** أن الإسلام سينتشر، ويُمكَّن له في جميع الكرة الأرضية؛ لأن الليل والنهار يبلغان جميعها، وهو لم يتحقق حتى الآن، وسيتحقَّق في المستقبل إن شاء الله.

وهذا كله يؤكد على عودة الخلافة الإسلامية وسيادتها على العالم كله.

---

(1) زوى لي الأرض: أي قبضها وجمعها. (قاله الخطابي)

(2) المدر: القرى والأمصار.

(3) الوبر: صوف الإبل والأرنب... ونحوها، يعني أهل البادية، لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر.

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني عن حذيفة t قال: قال رسول الله r :

"تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكاً خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت"

– الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعية فيه جور أو ظلم، كأنهم يُعَضُّون عضًّا، أو الذي يعضهم فيه الفقر، وقد يكون الملك العاض بمعنى المعضوض عليه، بأن يورث من حاكم لآخر"

– الملك الجبري أو الجبرية: هو الذي يتم جبراً ورغماً من الرعية، كتوريث الحاكم غيره من الأبناء أو غيرهم دون رضا من الشعب، ويدخل فيه أيضاً الانقلابات في عصرنا "

وها نحن نعيش الآن الملك الجبري، وننتظر عودة الخلافة الراشدة كما أخبر بذلك النبي r .

– ومما يدل على أن العاقبة ستكون للأمة المحمدية

ما أخرجه الإمام أحمد والدارمي عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال:

"بينما نحن حول رسول الله r نكتب، إذ سُئِل رسول الله r أي المدينتين تفتح أولاً؟ أقسطنطينية أو رُوميَّة؟ فقال رسول الله r : مدينةُ هِرقْل تفتح أولاً، يعني القسطنطينية"

وتمت البشارة الأولي في عهد محمد الفاتح – : –، وها نحن ننتظر البشارة الثانية إن شاء الله.

– ومما يدل على أن العاقبة للأمة المحمدية كذلك

ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله r قال:

"تقاتلون اليهود، حتى يختبيء أحدهم وراء الحَجَر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله"

– وفي رواية: **"لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحَجَرُ وراءَهُ اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله"**

١٢- نَبِيُّ هذه الأُمَّـة أفضل الأنبياء:

فخر لك أيها المسلم أن يكون نبيُّك محمد، سيد الأولين والآخرين، خير الخلق، وحبيب الحق، وخير مَن تنفَّس الهواء، وخير مَن وَطِيء الحصى، **وهو القائل r :**

"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشقُّ عنه القبر، وأول شافع وأول مُشفَّع"

(رواه مسلم من حديث أبي هريرة t)

– ***وفي رواية عند الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري t أن النبي r قال:*** "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدمُ فمَن سواه إلا تحت لوائي: وأنا أول شافع، وأول مُشفَّع ولا فخر" (صحيح الجامع:١٤٦٨)

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يذكر افتخاراً في الغالب؛ أراد النبي r أن يقطع وَهْمَ مَن توَهَّم أنه يذكر ذلك افتخاراً، **فقال r :** "ولا فخر"

– ونبيَّنا صاحب الوسيلة، وهي منزلة في الجنة لا تكون إلا له r

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي r قال:

"إذا سمعتم المؤذن فقولوا مِثْلَما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنه مَن صلَّى عليَّ صلاةً؛ صلَّى الله بها عليه عشراً، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجَنَّة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا، فمَن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة"

– ونبينا أكثر الأنبياء تبعاً

فقد أخرج البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله r :

"عُرِضت عليَّ الأُمم، فأخذ النبي يمرُّ معه الأُمة، والنبي يمرُّ ومعه النفر، والنبي يمرُّ معه العشرة، والنبي يمرُّ معه الخمسة، والنبي يمرُّ وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أُمَّتِي؟ قال: لا. ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أُمَّتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلون"

– ونبينا حوضه أكثر الأحواض وروداً

فقد أخرج الترمذي عن سمرة بن جندب t عن النبي r قال:

"إن لكل نبيٍّ حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة"

اللهم اسقنا من يد الحبيب شربة لا نظمأ بعدها أبداً

– ونبينا أول مَن سيقرع حلَق الجَنَّة، فلا يفتح لأحد قبله r

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس t قال: قال رسول الله r :

"آتي باب الجَنَّة يوم القيامة فأَسْتفْتِحُ، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرتُ لا أفتح لأحد قبلك"

– ونبينا صاحب الشفاعة العظمى

وهي شفاعة خاصة بالنبي r دون غيره من الأنبياء والمرسلين– عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم – ففي أرض المحشر عندما يشتدُّ البلاء بالخلق حيث طال بهم الوقوف(٥٠٠٠٠ سنة) واشتد الحر، وبلغ العرق مداه، وتأخَّر الحساب، وركبهم من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيبحثون عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند رب البرية، حتى يقضي بين العباد، فيذهبوا إلى آدم u فيحليهم إلى نوح، ونوح يحليهم إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، والكل يقول: لست لها، لست لها، حتى يأتوا النبي r ، فيقول: أنا لها، أنا لها، فيقوم الرسول مقاماً يحمده عليه الأولون والآخرون، وتظهر فيه منزلته العظيمة ودرجته العالية الرفيعة، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله إياه، **حيث قال:** { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً } [الإسراء:٧٩]

فيستأذن النبي r على ربه فيأذن له، فيقوم بين يديه ويخر ساجداً، ويحمده ويثني عليه، ثم يقال له: **"يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع"**، فيشفع في الناس ليقام فيهم الحساب، وينصرفوا من أرض المحشر.

والحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس t قال: قال رسول الله r :

"يجمع الله الناس يوم القيامة، فيهتمون لذلك[1] – *وفي رواية:* فيُلْهَمون ذلك – فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ قال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم[2]، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها، ولكن ائتوا نوحاً، أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض...

---

(1) يهتمون لذلك: أي يعتنون بسؤال الشفاعة وزوال الكرب الذي هم فيه.

(2) لست هناكم: أي لست أهْلاً لذلك.

فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، لكن ائتوا إبراهيم الذي اتَّخذه الله خليلاً، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست هناكم، وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، لكن ائتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، لكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً، عبدٌ غَفَرَ الله له ما تَقَدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال النبي r : فيأتونني، فأقول: أنا لها، فأستأذنُ على ربي، فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، وسَل تُعطَه، واشْفَع تُشَفَّع [فيشفع في الخلق] ثم أقول [فأقول]: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، وسَل تُعطَه، واشْفَع تُشَفَّع، فأقول: يا رب أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي: انطلق، فمَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، قال: ثم أرجع إلى ربِّي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسْمَع، وسَل تُعطَه، واشْفَع تُشَفَّع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: فليس ذلك لك – أو قال: ليس ذلك إليك –، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجنَّ منها مَن قال: لا إله إلا الله"

- وفي رواية عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة t قال:

"كنا مع النبي r في دعوة، فرفع إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة [1]، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون: ممّ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون مَن يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجَنَّة، ألا تشفع لنا إلى ربك؟، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات... فذكرها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وكلَّمتَ الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً r، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلقُ، فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي..." الحديث

(1) النهس: أخذ اللحم بمقدم الأسنان– أما النهش (بالشين)، فهو تناوله بالأسنان وبالأضراس مع القبض على اللحم ونثره.

١٣ - الأُمَّة المحمدية تُميَّز يوم القيامة عن سائر الأمم بالوضوء؛ فيُبْعَثُوا غُراً مُحجلين:

١ – أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة t :

"أن النبي r أتى المقبرة، فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنَّا إن شاء الله بكم عن قريب لاحقون، وددتُ لو أنَّا قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف مَن لم يأت من أُمَّتك يا رسول الله؟ قال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غرٌّ[1] محجَّلةٌ[2] بين ظهْري خيل دُهْم بُهْم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غُرًّا محجَّلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليُذَادنَّ رجال عن حوضي كما يُذَاد البعير الضال أناديهم: ألا هَلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً"

٢ – فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:

"إن أمتي يُدعون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوضوء"

فمَن مثلك أيها المُوحِّد؟ ارفع رأسك واعتز بإيمانك وبتوحيدك وبدينك وباتباعك للنبي r

وممَّا زادني فخراً وتيها ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن سيَّرت أحمد لي نبيا

٣ – وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي الدرداء t قال: قال رسول الله r :

"أنا أول مَن يُؤْذَن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول مَن يُؤْذَن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى ما بين يدي، فأعرف أُمَّتِي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك، فقال رجل: يا رسول الله: كيف تعرف أُمَّتِك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أُمَّتِك؟ قال: هم غُرٌّ محجَّلُون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم"

(صححه الألباني في مشكاة المصابيح:١/٩٩ – حديث رقم٢٩٩)

٤ – وفي "مسند الإمام أحمد" وأبي يعلى من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما - عن النبي r قال:

"فتفرّجُ لنا الأمم عن طريقنا، فنمضي غرًّا محجَّلين من آثار الطهور، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها"

(حسَّنه لغيره الشيخ شعيب في تحقيق المسند)

(1) الغُرَّة: اللمعة البيضاء تكون في جبهة الفرس، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد هنا: النور الكائن في وجوه أُمَّة محمد r
(2) التحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس، والمراد به أيضاً: النور. اهـ بتصرف (شرح مسلم للنووي:٣/١٠٠)

١٤- الأُمَّـة المحمدية شهداء على الناس يوم القيامة:

ويظهر فضل الأُمَّة المحمَّدية يوم القيامة عندما يجعلها الله تعالى أُمَّة شاهدة على البشرية كلها.

فقد أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري t أن النبي r قال:

"يُدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ – أي الرسالة– فيقول: نعم، فيُقَال لأُمَّتِه: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمَّتُه، فيشهدون أنه قد بلَّغ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً، وهو قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } [البقرة:١٤٣]"

– والأُمَّة المحمَّدية لا تشهد لنوح u فقط، بل تشهد لجميع الأنبياء

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال: "يجئ النبيُّ يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومه، فيقال لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: مَن يشهدُ لك؟ فيقول: محمد وأُمَّتُه، فيُدعى محمدً وأمته، فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما عِلْمكم بذلك؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلَّغُوا فصدقناه، فذلك قوله: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } [البقرة:١٤٣]" (صحيح الجامع:٨٠٣٣)

– عن أُبي بن كعب t قال في الآية السابقة: { لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء } :

"وكانُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب... وغيرهم، أن رسلهم بلَّغتهم وأنهم كذَّبوا رسلهم، **قال أبو العالية:** "وهي قراءة أُبي: " لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ يوم القيامة"

وأخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه- عن النبي r قال:

"ما من رجلٍ من الأُمم إلا وَدَّ أنَّه منَّا أيتها الأُمَّة، ما من نبيٍّ كذَّبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة، أن قد بلَّغ رسالة الله ونصح لهم" (قال الحافظ في "الفتح" (٨/٢١٨): إسناده جيد)

وأخرج الطبراني في "الكبير" من حديث سلمة بن الأكوع t أن النبي r قال:

"أنتم شهداء الله في الأرض، والملائكة شهداء الله في السماء"

وفي قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } [البقرة:١٤٣]، **قال البخاري:** "أي عدولاً"

– **وفي "لسان العرب":** "الأوسط: هو الأجود والأخير والأشرف، كما يقال:" قريش أوسط العرب نسباً"

– **وقال ابن القيم** – : – : "الوسط دائماً محمي الأطراف، فالأطراف الخلل إليها أسرع.

فالأُمَّة المحمدية أُمَّةٌ وسط، لتوسطهم في الدين، فلم يغالوا كغلو النصارى ويزعمون أن عيسى هو الله أو هو ابن الإله، ولم يقصروا كتقصير اليهود، فيقولون: "أن الله فقير، يد الله مغلولة"، ويصفوه بالعجز والندم، فكلٌّ هذا ليس في أُمَّة النبي r ولكنهم أهل وسط واعتدال.

١٥ - الأُمَّة المحمَّدية أقلُّ أهل النار:

أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r قال الله U:

"يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، يا رب وما بعث النار؟ فيقول: في كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين؛ فحينئذ يشيب المولود وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، فقال الصحابة: وأيُّنَا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله r : تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد، فقال الناس: الله أكبر"

– بل هناك كرامة ما بعدها كرامة لهذه الأُمَّة

بلغ من كرم الله لهذه الأُمَّة أنه يدفع لكلِّ واحدٍ منها رجلاً من الكفار، ويقال هذا فكاك من النار

– ***أخرج الإمام مسلم عن أبي موسى t قال: قال رسول الله r :***

"إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأُمَّة رجلاً من الكفار، فيقال له: هذا فداؤك من النار" (صحيح الجامع:٧٧٨)

– ***وأخرج الطبراني في "الكبير" والحاكم عن أبي موسى t قال: قال رسول الله r :***

"إذا كان يوم القيامة؛ بعث الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر، فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن، هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار" (صحيح الجامع:٧٧٩)

– ***وفي رواية عند مسلم من حديث أبي موسى الأشعري t أن النبي r قال:***

"إذا كان يوم القيامة دَفَعَ الله إلى كلِّ مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار"

– ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي موسى t قال: قال رسول الله r :***

"يجيء يوم القيامة ناسٌ من المسلمين بذنوب أمثال الجبال؛ يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود" (صحيح الجامع:٨٠٣٥)

يقول الإمام النووي – : – في شرح هذا الحديث:

"قوله: **"دَفَعَ الله إلى كلِّ مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار"** معناه ما جاء في حديث أبي هريرة t : **"لكل أحد منزلٌ في الجَنَّة، ومنزلٌ في النار"** فالمؤمن إذا دخل الجَنَّة خَلَفَهُ الكافر في النار؛ لأنه مستحق لذلك بكفره، ومعنى **"فكاكُك"** إنك كنت مُعَرَّضاً لدخول النار، وهذا فكاكُكَ؛ لأن الله تعالى قدَّر للنار عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم، صاروا في معنى الفِكَاك للمسلمين. والله أعلم" (رياض الصالحين: ص٢٢٥)

١٦- الأُمَّـة المحمدية أول مَـن ستحـاسب، وأول مَـن سَتمُـرُّ على الصراط، وأول مَـن ستدخل الجَنَّة:

فمن مظاهر تكريم الله للأمة المحمدية أن يجعلها أول الأمم تحاسب، **ودليل ذلك:-**

- ما أخرجه الإمام مسلم من حديث حذيفة t قال: قال رسول الله r :

"نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق"

- وعند ابن ماجه من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما - عن النبي r قال:

"نحن آخر الأمم، وأول مَن يُحَاسَبُ، يقال: أين الأُمَّة الأُمِّيَّة نبيها؟ فنحن الآخرون الأولون" (صحيح الجامع:٦٧٤٩)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:

"نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كلَّ أُمَّةٍ أوتيت الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، [ثم هذا اليوم – الجمعة– الذي كتبه الله علينا هدانا الله له، والناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد]"

- قال الحافظ ابن حجر – : – في "فتح الباري" معلقاً على الحديث:

"**وفي قول النبي r : "نحن الآخرون"** أي الآخرون زمانا، الأولون منزلة، والمراد: أن هذه الأُمَّة وإن تأخَّر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول مَن يحشر، وأول مَن يحاسب، وأول مَن يقضى بينهم، وأول من يدخل الجَنَّة" اهـ بتصرف.

- **أما كونها أول مَن ستمرُّ على الصراط**

فقد ثبت في "صحيح البخاري" أن الحبيب النبي r قال:

"ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكونُ أنا وأمتي أول مَن يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم..." الحديث

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة t قال:

"نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول مَن يدخل الجَنَّة..." الحديث.

١٧ - الأُمَّـة المحمدية أكثر أهل الجَنَّة:

– أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود t قال: "كنا مع رسول الله r في قبة نحو من أربعين، فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجَنَّة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجَنَّة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجَنَّة، وذلك أن الجَنَّة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض"

يا الله ! نحن نصف أهل الجَنَّة مع كوننا الأُمَّة السبعين.

– بل وفي رواية أخرى يظهر من خلالها أننا ثلثي أهل الجنة

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن بريدة t عن النبي r قال:

"أهلُ الجَنَّة، عشرون ومائةُ صفٍّ، ثمانون منها من هذه الأُمَّة، وأربعون من سائر الأمم"

(صحيح الجامع: ٢٥٢٦)

– بل في رواية هي أرجى من سابقتها، *وفيها أن النبي r قال:*

"ما من أُمَّة إلا وبعضها في النار، وبعضها في الجَنَّة، إلا أُمَّتي فإنها كلها في الجَنَّة"

والحديث يُقْصد به أن مَن مات من أهل التوحيد – ولو كان من أهل الكبائر – فإن مصيره في نهاية الأمر إلى الجَنَّة.

١٨ - لكرامة هذه الأُمَّة على الله؛ فإنه يُدْخِل منها الجَنَّة سبعين ألفاً بغير حساب ولا سابقة عذاب:

في أرض المحشر عندما يجمع الله الأولين والآخرين للحساب والفصل بين العباد، ويتجلى الله U لعباده للحساب والجزاء، وإذا بالكريم I يأذن لزمرة كريمة من أُمَّة الحبيب النبي r لتدخل الجَنَّة بلا حساب، فالناس في أرض المحشر يُحاسَبُون، وهم في الجَنَّة يتنعمون.

فهؤلاء الذين جاء ذكرهم في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس

– رضي الله عنهما - *قال: قال رسول الله r* :"عُرضت عليَّ الأمم، فرأيتُ النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجلُ والرجلان، والنبي وليس معه أحدٌ، إذ رُفِعَ لي سواد عظيم، فظننت أنهم أُمَّتِي، فقيل لي: هذا موسي وقومُهُ، ولكن انظر إلى الأفق، فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا عذاب، هم الذين لا يرقون[1]، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلي ربهم يتوكَّلون"

---

(1) *قال الشيخ الألباني–* : – : "قلت: "قوله: "لا يرقون" هو مما تفرد به مسلم دون البخاري وغيره، ثم هو شاذ سنداً ومتناً، كما بينته في محل آخر، وحسبك دليلاً على شذوذه أن النبي r قد رقى غيره أكثر من مرة". اهـ

– ***وفي قول النبي r :*** **"عُرضت عليَّ الأمم:** "أي أن الأمم تُعْرَضُ على النبي **r** وهي في طريقها إلى الجَنَّة، وكانت أُمَّة النبي **r** هي أكثر الأمم دخولاً للجنة، بل وفوق ذلك معهم سبعون ألفاً يدخلون الجَنَّة بغير حساب ولا سابقة عذاب، ووجوهم كالقمر ليلة التمام"

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد t عن النبي r قال:

"ليدخلنَّ الجَنَّة من أمتي سبعون ألفاً متماسكون، آخذٌ بعضهم بيد بعضٍ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورةِ القمر ليلة البدر"

– **ولم يكتف النبي r بهذا، بل سأل ربه الزيادة؛ فزاده الله مع كل واحد سبعين ألفاً.**

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي بكر t عن النبي r قال: **"أُعطيتُ سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجَنَّة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجلٍ واحد، فاستزدتُ ربي U فزادني مع كل واحدً سبعين ألفاً"** (صحيح الجامع:١٠٥٧)،(الصحيحة:١٤٨٤)

– ***بل وفي رواية أخرى أخرجها الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة t عن النبي r قال:*** **"وعدني ربي أن يدخل الجَنَّة من أُمَّتِي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي"**

– ***وفي رواية:*** **"فكبَّر عمر بن الخطاب t "** (صحيح الجامع:٧١١١)

فعمر كبَّر لأنه استوعب المعنى، **فما هو المعنى الذي استوعبه عمر؟**

هو مدى وسعة رحمة أرحم الراحمين بعباده المؤمنين، فلا أحد يستطيع أن يُدرك هذه الحثيات، ولا يعلم أحدٌ منا قدرها، **لكن جاء في قوله تعالى:** { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر:٦٧] ، ما يشير إلى المعنى الذي فهمه عمر t

فكيف لأمة أن تهن أو تحزن أو تخضع ولها كل هذه المناقب

{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [آل عمران:١٣٩]

وحتى تعود الخيرية لهذه الأُمَّة لابد من أمور:-

١- عدم الركون إلى الدنيا:

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن ثوبان t عن النبي r قال:

"يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أمن قلةٍ نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل إنكم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"

فعليك أخي الحبيب... أن تربط أول الحديث بآخره؛ لتعلم أننا إذا أحببنا الدنيا وكرهنا الموت؛ تداعت علينا الأُمم، وصرنا لا قيمة لنا، فهذه دعوة لنبذ الدنيا من القلوب؛ لتعود لنا القيادة والريادة.

٢- الاعتزاز بالدين وبالهوية الإسلامية:

ففخر لك أنك من الأُمَّة المحمدية، لكن منَّا مَن ينسلخ من هويته الإسلامية، ويتابع شر البرية

وهذا ما أخبر به النبي r حيث قال:

"لتتبعنّ سنن مَن كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمَن!(أي مَن غيرهم)" (أخرجه البخاري)

فأصبح شبابنا كشبابهم، ونسائنا كنسائهم

فكلُّ ما نراه الآن من تخلُّف مهين، وضعف مقيت بسبب بعدنا عن ديننا وهويتنا الإسلامية

إن تاريخ الأُمَّة يثبت أن عزة هذه الأُمَّة وعلوها ورفعة شأنها يكون مع تمسكها بإسلامها واتِّباعها لهدي نبيها r .

- وصدق الفاروق عمر t حيث قال:

"كُنَّا أذلَّ قومٍ فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ في غيره أذلَّنا الله"

- وفي حديث القنوت الذي علَّمه النبي r للحسن، وفيه:

"إنه لا يذلُّ مَن واليت، ولا يعز مَن عاديت، تباركت ربنا وتعاليت" (أخرجه الترمذي)

فالسيادة والقيادة لا تعود إلينا إلا بعد الرجوع إلى ربنا والصلح معه.

٣- إحياء هذه الفريضة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

قال تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران:١١٠]

قال قتادة – : –: "بلغنا أن عمر t في حجّةٍ حجَّها رأى من الناس دَعَةً، فقرأ هذه الآية:

{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران:١١٠]، ثم قال:

"مَن سَرَّه أن يكون من هذه الأُمَّة؛ فليؤدِ شرط الله فيها" (ابن كثير: ١/٣٧٤، وعزاه لابن جرير)

٤- الإقلاع عن الذنوب:

فالذنوب أصل كل بلية وسبب للذلة.

فقد أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله r :

"وجعلت الذلة والصغار على مَن خالف أمري، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم"

– وفي رواية: "وجعل الصغار والذلة على مَن خالف أمري"

– ويقول الحسن البصري – : – في شأن العصاة والمخالفين لأمر الله تعالى:

"لو طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذلَّ المعصية سيدركهم، أبى الله إلا أن يذِلَّ من عصاه"

– والزنا والربا من المعاصي التي وقعت فيهما الأُمَّة، وهما سبب لهلاكها

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" عن ابن عباس – رضي الله عنهما - عن النبي r قال:

"إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله بهلاكها"

– وأخرج البيهقي والحاكم عن ابن عمر – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله r :

"يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن– وأعوذ بالله أن تدركهن – لم تظهر الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..." الحديث

فلا خلاص لنا إلا بالاقلاع عن الذنوب، والرجوع إلى علام الغيوب؛ حتى تعود لنا القيادة والريادة في الدنيا، وفي الآخرة الفوز بجنة النعيم، في جوار رب العالمين، وفي صحبة النبي r

اللهم ارزقنا الجنة أجمعين

٥- إقامة العدل وعدم الظلم:

الله U جعل الظلم مُحرَّماً بين العباد، **ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر t قال: قال رسول الله r : قال الله U:**

"يا عبادي إن حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظَّالموا..."

فهذه وصية ربَّانية للأُمَّة المحمدية، ولكن إن خالفنا ووقعنا في الظلم فهذا إيذانا بهلاك الأُمَّة:

قال تعالى: { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا . . . } [يونس:١٣]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – : – :

"إن الله تعالى ليقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويهدم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة"

(مجموع الفتاوي: ٦٣/٢٨)،(الاستقامة:٢٤٧/٢)

فإذا ضاع في هذه الأُمَّة العدل، وضاع فيها حق الضعيف؛ ضاعت الأُمَّة وهلكت

وصدق الحبيب النبي r حيث قال: **"إنما أهْلَكَ مَن كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"** (أخرجه الإمام مسلم من حديث عائشة ﵂)

وأخرج ابن ماجه وابن حبان عن جابر t قال:

"لما رجعت إلى رسول الله r مهاجرة البحر(١)، قال: ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس مرَّت بنا عجوز من عجائزهم، تحمل على رأسها قُلة من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفها ثم دفعها فخرَّت على ركبتها فانكسرت قُلَّتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون؛ فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، فقال رسول الله r : صدقت... صدقت، كيف يُقدِّس اللهُ أُمَّة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم"

– **وفي رواية عند الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود t عن النبي r قال:**

"إن الله لا يُقدِّس أُمَّة لا يعطون للضعيف منهم حقه" (صحيح الجامع:١٨٥٨)

– **وفي رواية:** **"إن الله لا يُقدِّس أُمَّة لا يأخذ الضعيف حقه من القوي، وهو غير متعتع"**

(أخرجه البيهقي في سننه من حديث أبي سفيان بن الحارث t وهو في صحيح الجامع:١٨٥٧)

(1) مهاجرة البحر: أي الذين هاجروا إلى الحبشة.

وأخيراً وبعدما وقفت على بعض فضائل الأُمَّـة الُحمدية...

يحق لك أيها المُوَحِّد أيها المسلم أن ترفع رأسك خفَّاقة عالية؛ لتعانق رأسك كواكب الجوزاء؛ لأنك تنتسب لهذا الدين، وأنك من أتباع سيد المرسلين، لكن كلَّ مَن ينتسب لهذا الدين فعليه أن يبذل النفس والنفيس؛ حتى تعود الخيرية والريادة والقيادة لهذا الدين، وليحذر أن يكون سبباً لانتكاس راية الإسلام وتَأَخُّر المسلمين.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك